شعر السجون والأسر في الأدب العربي

الدكتور هادى الحمدانى
قسم اللغة العربية

القسم الاول ـ اغراضه

تكاد تكون اغراض هذا الشعر هى الاغراض التقليدية للشعر العربى عامة ففيها المديح والهجاء والوصف والشكوى والعتاب والاخوانيات والغزل والفخر وما الى ذلك • ولكن دراستنا هذه لا تتناول هذا التقسيم بل تحاول أن تتلمس اتجاهات الشعر من خلال التيارات النفسية ـ وهو ما يناسب هذه الدراسة ـ لان الشاعر فى سجنه مجموعة عواطف وانفعالات تشتد وتضعف وتتنوع ضمن اطار نفسه وجدران سجنه ، وهى التى تجمع هؤلاء الشعراء ضمن هذه الاغراض :

اولا ـ الشاعر والسجن :

محيط الشاعر فى سجنه هذه الجدران الاربعة وما يلقى فيها من معاملة قاسية من السجان والحراس ، يصف حالته وحالة من معه من المساجين وهذه التى تشد يديه ورجليه من الاغلال والقيود •

ان شعر السجون والاسر الذى بين يدينا لا يعطينا صورة واضحة لما كانت عليها السجون[1] ، وذلك لان الشعر فى اغلبه تصوير نفسى فى اغلب الاحيان ، وحتى لو كانت السجون مريحة فانها لا تنعكس كذلك فى نفس الشاعر وبالتالى فى شعره ، فكيف اذا كانت موحشة مظلمة لا تتوفر فيها ابسط أنواع الراحة ، فهى على حد قول عاصم بن محمد الكاتب :

---

(١) انظر : الدكتور هادى الحمدانى أ ـ الاسر عند العرب ـ مجلة الاستاذ ، المجلد الثالث عشر ١٩٦٦ •
ب ـ السجون فى الاسلام ـ مجلة الاستاذ ، المجلد الرابع عشر ١٩٦٧ •

فى مطبق فيه النهـار مشـاكل لليل والظلمات فيه سرمـد[٢]

وقول الصابى :

كتبت اخيك السوء من محبس ضنك وعين عدوى رحمة منه لي تبكى[٣]

ويظل الشاعر السجين يدير عينيه نحو باب السجن فهو منفذ الحرية الوحيد ، منذ يخرج الى العالم الفسيح ومنه يفكر بالهرب ، ولذا ذكره عدد منهم ، وصفوا متانته وصرير اقفاله وغلظة حراسة ، قال هدبة بن خشرم :

وانـي وان قالوا أمـير وتابـع وحراس ابواب لهن صرير[٤]

وقال علي بن الجهم واصفا يقظه الحراس وقلة نومهم :

ألمت وجنح الليـل مـرخ سـدوله وللسجن احراس قليل هجودها[٥]

وحين تهتز هذه الابواب وتصلصل الاقفـال تطير قـلوب السـجناء فزعا وخوفا ، قال السمهرى :

اذا حرسي قعقع البـاب أرعـدت فرائص اقوام وطـارت قلـوبها[٦]

ومثله للمعتمد بن عباد :

واذ لـم تبت مثـــلى تطـــير قلوبهـــا

اذا اهتز باب السجن او صلصل القفـل[٧]

ويصف جعفر بن علبة الحارثى ترنم باب سجن « دوران » والحراس الذين لا ينامون فلا يجد فرصته للهرب منه :

---

(٢) الجاحظ ، المحاسن والاضداد (ليدن ١٨٩٨) ص ٩٢ .
(٣) الثعالبى ، يتيمة الدهر (القاهرة ١٩٤٧) ، ٢/٢٩٣ .
(٤) حماسة ابي تمام (القاهرة ١٣٥٨ هـ) ، ٢/٥٢ .
(٥) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم (دمشق ١٩٤٩) ٣/١٦ .
(٦) الاغانى (بولاق) ، ٢١/٧٩ .
(٧) المقرى التلمسانى ، نفح الطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة ١٩٤٩)، ٥/٣٥٣ .

اذا باب «دوران» ترنم فى الدجى وشد باغلاق علينا واقفال
وحراس سوء ما ينامون حوله فكيف لمظلوم بحيلة محتال(٨)

وكذلك خشي ابن مفرغ من الحراس المتربصين ان ينهوا الزوار من الدخول عليه لزيارته :

حى ذا الزور وانهه ان يعودا ان بالباب حارسين قعودا(٩)

وغير هؤلاء الحرس الذين يقفون على ابواب السجون او يقعدون فيها ، وصف شعراء السجون اولئك السجانين الذين يدورون عليهم فيراقبونهم نهارا ، ويزعجونهم ليلا بما يحملون من اجراس تفسد عليهم نومهم • ولعل صورة السجان اقبح صورة الى نفس الشاعر السجين ، فهى تفسد عليه ساعات وحيه ولحظات الهامه ، قال ابن مفرغ يصف هؤلاء من الاساور (من الفرس) والسبابج الغتم (من السند) وهم يدورون باجراسهم ليضعوا القيود فى رجليه عند الصباح :

من أساوير لا ينون قياما وخلاخيل تسهر المولودا
وطماطيم من سبابج غتم يلبسونى مع الصباح قيودا(١٠)

وعكس لنا جعفر بن علبة نفس الصورة بقوله :

وأظلم ليل قام علج بجلجل يدور به حتى الصباح بأعمال(١١)

وذكر لنا الفرزدق هؤلاء الاجانب بأجراسهم فى قوله :

---

(٨) الاغانى ١٤٧/١١ •
(٩) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (بريل ١٩٠٤) ص ٢١٢ •
انظر : الدكتور شوقى ضيف ، التطور والتجديد فى الشعر الاموى (القاهرة ١٩٥٩) ص ٣٦٥ •
(١٠) المصدر نفسه •
(١١) الاغانى ١٤٧/١١ •

ابيت تطوف الزط حولى بجلجل علي رقيب منهم كالمحالف[١٢]

ويصف الصابى سجانيه بالقردة لقبح صورهم فى نفسه :

وموكلين بنا نذل لعزهم فكأننا لهم عبيد عبيد
والله ما سمع الانام ولا رأوا نقدا توكل قبلهم باسود[١٣]

وفى بيت آخر يصف سجانه بانه قط ضار :

وقد ملكتنى كف قط مسلط قليل التقى ضار على الفتك والافك[١٤]

وهكذا يتشابه الشعراء فى تناولهم لموضوع السجان وشبحه الثقيل وما يحمل معه من اجراس مزعجة تطرد عنهم النوم ، غير أن ابا نواس قد تناول هذا الموضوع بشكل لا يخلو من طرافة فهو لا يعبأ بالقيود قدر ما يكره « سعيدا » سجانه وتمنى لو كان بدله شيطان مريد اخف وطأة منه :

وقيت بي الردى زدنى قيودا وثن علي سوطا او غمودا
ووكل بي وبالابواب دونى من الرقباء شيطانا مريدا
واعف مسامعى من صوت رجس ثقيل شخصه يدعى « سعيدا »
فقد ترك الحديد علي ريشا واوقر بغضه قلبي حديدا[١٥]

والسجان عند ابن الجهم رسول الاحياء الى الاموات يشتاقون لقاءه :

اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا[١٦]

ولعل أكثر ما تناول شعراء السجون فى شعرهم وصف القيود والاغلال فهى اكثر تماسا بهم واشد وطأة على اجسادهم وارواحهم ،

---

(١٢) شرح ديوان الفرزدق ، تحقيق عبدالله الصاوى (القاهرة ١٩٣٦) ٥٣٨/٢ .
(١٣) اليتيمة ٢٤٣/٢ .
(١٤) المصدر نفسه ٢٩٣/٢ .
(١٥) ديوان ابي نواس ، تحقيق اسكندر آصاف (مصر ١٨٩٨) ١٠٧ .
(١٦) ديوانه ٣/٣٥ .

تؤذيهم وتعض ارجلهم وايديهم واعناقهم • والامثلة كثيرة فى هذا المجال ، قال عدى بن زيد يصف شدة وثاقه وما هو عليه من ثياب ممزقة :

ابلغـــا عامـــرا وأبلغ أخـــــاه انني مـــوثق شـــديد وثاقى
فى حديد القسطاس يرقبنى الحا رس والمـرء كل شـيء يلاقى
فى حـــديد مضاعف وغـلول وثياب منضّحات خلاق(١٧)

وعدى اكثر الشعراء ذكرا للقيود والاغلال مما يدل على انها كـانت شديدة حقا • والقيود عند الفرزدق تتعدد حلقاتها وتختلف من يوم لآخـر فهي مرة ثلاثون فى قوله :

كأنى حرورى له فـــوق كعبـــه ثلاثون قيدا من قروض ملاكد(١٨)

ومرة أربعون :

فليت مكان الاربعين التى لهـــا بساقي آثار مبين وشـومها(١٩)

وهى خمسون مرة اخرى :

فكيف بمن خمسون قيـدا وحلقة عليه مع الليل هو ادهم(٢٠)

وهى تسعون فى بيت آخر :

يا مال هل لـك فى أسير قد اتت تسعون فوق يديه غـير قليل(٢١)

وقد وصف شعراء السجون اثر هذه القيود على اجسـادهم وعـــلى نفوسهم • قال ابو محجن :

وقد شف جسمي انني كل شارق اعالج كبلا مصمتاً قد برانيـا(٢٢)

---

(١٧) الاغانى ٢/٢٧ •
(١٨) ديوانه ١/١٥٨ •
(١٩) ديوانه ٢/٨١٠ •
(٢٠) ديوانه ٢/٨٠٤ •
(٢١) ديوانه ٢/٦٨٠ •
(٢٢) الاغانى ٢١/٢١٣ •

والقيود عند المعتمد ثعابين فى شكلها واسود فى عضتها :

قد كان كالثعبان رمحك فى الوغى فغدا عليه القيد كالثعبان[٢٣]

وقد صار ذاك وذا ادهما يعض بساقي عض الاسود[٢٤]

من الدهم اما خلقها فأساود تلوى واما الايد والبطش فالاسد[٢٥]

تعطف فى ساقى تعطف ارقم يساورها عضا بأنياب ضيفم[٢٦]

وفى الواقع أن المعتمد وصف قيوده وما تفعله فى جسمه وصفا مؤلما بقوله مخاطبا القيد :

دمي شراب لك واللحم قد اكلته لا تهشم الا عظما[٢٧]

وهذه القيود تقصر من خطى المساجين وتمد من سيرهم قال عبيدالله ابن الحر :

على الساق فوق الكعب اسود صامت شديد يدانى خطوه ويقاربه[٢٨]

وقال الصابى واصفا سيره بقيوده وكأنه الفتاة الحيية :

قصرت خطاه خلاخل من قيده فتراه فيها كالفتاة الرود[٢٩]

ومع الشاعر السجين يعيش سجناء آخرون غالبا ما يأتلف معهم فتربطه بهم المصيبة الواحدة والمكان الواحد ، قال جحدر العكلى :

كانت منازلنا التى كنا بها شتى فألف بيننا « دوار »[٣٠]

---

(٢٣) نفح الطيب ٥/٣٥٠ .
(٢٤) المصدر نفسه ٥/٣٤٥ .
(٢٥) المصدر نفسه ٥/٣٥٢ .
(٢٦) ابن الاثير ، الكامل (القاهرة ١٣٠١ هـ) ١٠/١٠٣ .
(٢٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان (القاهرة ١٣١٠ هـ) ٢/٣٣ .
(٢٨) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ٧/١٧٠ .
(٢٩) اليتيمة ٢/٢٤٣ .
(٣٠) المرصفى ، كتاب رغبة الآمل (القاهرة ١٩٢٧) ٢/١٧١ (هامش) ، دوار : سجن باليمامة .

ويصف لنا الصابي اصحابه من المساجين بأنهم احرار أمجاد صناديد :

انا بين اخوان لنا قد اوثقوا بسلاسل وجوامع وقيود
من كل حر ما جد صنديد في كل وغد عاجز رعديد(٣١)

وكان المعتمد يتسلى بمجالسة بعض السجناء من الشعراء حتى اذا أفرج عنهم وبقى وحده قال مودعا ومهنئا غير ناس انه بقى وحيدا بعدهم :

فهنيتم النعما ودامت لكلكم سعادته ان كان قد خاننى سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا ولله فى امرى وامركم الحمد(٣٢)

ولا شك أن السجين حائر بنفسه غير ملتفت لمصائب غير ولكن حين يطول السجن وتأتلف القلوب هناك يكون للآخرين نصيب كبير من شعر الشاعر السجين .

ثانيا ـ بين الماضي والحاضر :

لا شك أن السجن قد سلب من هؤلاء الشعراء اكثر حرياتهم وقطع بينهم وبين ماضيهم فبكوا حريتهم هذه وذكروا ماضيهم مقارنين بينه وبين حاضرهم التعيس . وهم ، وان تشبثوا الى حد ما فى عرض موضوع الحاضر، يختلفون فى عرض الماضى ، فأحوالهم قبل السجن شتى والظروف التي أحاطت بسجنهم مختلفة . فهذا ان مفرغ يجبر على بيع قينته «الاراكة » وغلامه « برد » فيتذكر أيامه معهما ليقول :

يا برد ما مسنا دهر أضر بنا من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
اما الاراك فكانت من محارمنا عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغدا
كانت لنا جنة كنا نعيش بها نغنى بها ان خشينا الازل والنكدا

---

(٣١) اليتيمة ٢/٢٤٣ .
(٣٢) نفح الطيب ، ٥/٣٥٢ .

كم من نعيم اصبنا من لذاتـــه قلنا لـه اذتولى : ليتـه خلدا[٣٣]

وابن مفرغ رجل محارب فهو شديد الحنين الى أيامه الماضية والى خيوله وسلاحه ودروعه :

اين مني نجائبي وجيـــادي وغزالي ، سقى الاله غزالي !
اين ، لا اين جنتي وســلاحي ومطايا سيرتهـــا لارتحالي ![٣٤]

ولكنه الآن سجين فقـد كل ذلك واصبح بيـد عبيدالله بن زياد أمير البصرة يفعل به ما يشاء : امر به فسقي نبيذاً حلواً قد خلط معه ما اسهل بطنه وطيف به على بعير فى شوارع البصرة وقرن بهرة وخنزيرة وكلبـة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ، وهو لا ينسى ان يسجل هذه الحادثـــة تسجيلا دقيقا ذاكرا كيف اجبر عـلى أكل لحم الخنازير وعـلى ان يصلي عكس اتجاه القبلة :

قـرنت بخنزير وهـــر وكلبـــة زماناً وشان الجلد ضـرب مشذب
وجرعتهـــا صهباء من غير لـــذة تصعـــد فى الجثمـان ثم تصوب
وأطعمت مـا لا ان يحل لآكلـــه وصليت شرقا، بيت مكةمغرب[٣٥]

وفى قصيدة اخرى يعيد تصوير هذه المأساة ويضيف ما عانى مـــن الضرب :

وكسرت السن الصحيحة مني لا تذلني فمنكـــر اذلالـــــي
وقرنتم مـع الخنازير هـــراً ويميني مغـــلولة وشمالي[٣٦]

وابو نواس لم يفارق فى سجنه غير الخمر والنساء فهو يبكي عليهما.

---

(٣٣) الاغانى ، ١٧/٥٤ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ١٧/٥٧ـ٥٨ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ١٧/٥٩ .
(٣٦) المصدر نفسه ١٧/٥٨ .

قال يخاطب جعفر بن الربيع :

اتحسبني باكرت بعدك لذة ابا الفضل او كشفت من عاتق خدرا
او انتفعت عيني بعاثر نظرة واكرعت في كأس لأشربها خمرا(٣٧)

اما ابو العتاهية فيتذكر ما كان له من حظوة لدى الخليفة الرشيد ومنادمته اياه :

ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن بالعين التي كنت مرة الي بها في سالف الدهر تنظر(٣٨)

بينما هو الآن في سجنه وقد انهك جسمه من الصبر :

الا في سبيل الله جسمي وقوتي الا مسعد حتى انوح على جسمي
تعد عظامي واحداً بعد واحد
بمنجى من العذال عظماً على عظم(٣٩)

وابن الجهم ـ على كثرة ما قال في سجنه من شعر ـ لا يخصص الا بيتاً واحداً يشير فيه الى حال الرخاء التي كان عليها مع المتوكل مع انه قضى نحواً من سبع سنين منادماً للخليفة أثيراً لديه :

ولا تنكري حال الرخاء وفوته فان أمير المؤمنين يعيدها(٤٠)

بينما هو الآن لا هو بالحي ولا بالميت :

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى(٤١)

ومع الخليفة نفسه قضى عاصم الكاتب عشرين سنة متمتعاً بحياة الملوك :

---

(٣٧) ديوانه ، ٩٦ .
(٣٨) الاغاني ، ١٥٧/٣ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ١٤٦/٣ .
(٤٠) ديوانه ، ١٠/١٦ .
(٤١) ديوانه ، ٢/٣٥ .

عشرين حولا عشت تحت جناحه عيش الملوك وحالتي تتزيد[٤٢]

وتذكر القصيدة التي منها هذا البيت حالته في سجنه دون أن يتذوق طعم النوم وحيث يبدو الليل والنهار ظلمة دائمة :

تمضي الليالي لا أذوق لرقدة طعماً ، وكيف حياة من لا يرقد
في مطبق فيه النهار مشاكل لليل ، والظلمات فيه سرمد
فالى متى هذا الشقاء مؤكد والى متى هذا البلاء مجدد ![٤٣]

والصابي اذ يتذكر ماضيه حين كان يتقلد ديوان الرسائل وما كتب من كتب وانشأ من فصول :

أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول در عندكم منضود
ورسائلا نفذت الى أطرافكم عبدالحميد بهن غير حميد[٤٤]

يعوزه الآن في سجنه غطاء الشتاء فيستعيض عنه باللوعة والدموع :

اتاني شتاء ليس عندي دثاره
سوى لوعة في الصدر مشبوبة الوقد
توالت سنني أربع ومدامعي
لها أربع كالسلك سل من العقد[٤٥]

وبينا يبلغ ابن زيدون منزلة النجم حين كان يتولى الوزارتين يجد نفسه في الحضيض :

وكنت احسبني والنجم في قرن ففيم أصبحت منحطاً الى العفر
أحين رف على الآفاق من أدبي غرس له من جناه يانع الثمر[٤٦]

---

(٤٢) المحاسن والاضداد ، ٩٢ .
(٤٣) المصدر نفسه .
(٤٤) اليتيمة ٢/٢٤٣ .
(٤٥) المصدر نفسه ٢/٢٩٥ـ٦ .
(٤٦) ديوان ابن زيدون ، تحقيق كامل كيلاني (القاهرة ١٩٣٢) ص ٩٥ .

وفى قصيدة اخرى يبكي ابن زيدون حاضره بكاء شديداً طالباً من الغمام أن يشاركه بكاءه ومن النجم أن يقيم له مآتما :

ألم يآن أن يبكي الغمام على مثلي
ويطلب ثأري البرق منصلت النصل
وهلا أقامت أنجم الليل مأتماً
لتندب فى الآفاق ما ضاع من نثلى(٤٧)

وحري بالمعتمد الملك السجين أن يبكي ماضيه الزاهر • قال يذكر قصره الزاهي وكان من أجمل المواضع لديه :

فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة امامي وخلفي روضة وغدير
بمنبته الزيتون موروثة العلا تغنى حمام أو ترن طيور
ويلحظنا « الزاهي » وسعد سعوده
غيورين والصب المحب غيور(٤٨)

وهو كثير الذكر فى شعره لقصوره « الزاهي » و « الزاهر » و « المبارك » و « الوحيد » وغيرها وما كان فيها من مقاصر وقيان ، فأين هي الآن :

يا سائلاً عن شأنه ومكانه ما كان اغنى شأنه عن شان
هاتيك قينته وذلك قصره من بعد أي مقاصر وقيان(٤٩)

وليست القصور وحدها هي التي اضاعها المعتمد بل السيف والرمح والنجيع :

كذا يهلك السيف فى جفنه الى هز كفي طويل الحنين

---

(٤٧) ديوانه ، ١١٢ •
(٤٨) نفح الطيب ٦/١١ •
(٤٩) المصدر نفسه ٥/٣٥٠ •

كذا يعطش الرمح لـــم اعتقله ولم تروه من نجيع يميني(٥٠)

ويذكر لنا الخوارزمي أيامه الاولى عند الامير ابي نضر احمد بن علي الميكالي واصفاً اياها بالنعمة والهناء :

وماء زلال قـــد تركنا وروده زلالاً وبعناه بشربة علقم(٥١)

بينما هو الآن جائع عار :

غدوت اخـا جـوع ولست بصائم ورحت اخا عرى ولست بمجرم(٥٢)

ويرى اعشى همدان انه كان ناعما جذلان قبل أسره :

ولقـد أراني قبـل ذلك ناعمـاً جـذلان آبى أن اضام وآنف(٥٣)

وانه كان بطلا فارسا يفزع اعداءه فى الحروب والغارات .

ولقـــد تضرسني الحروب وانني الفـــى بكـــل مخافـــة اتعسف
واشـداذ يكبـو الجـواد واصطلى حر الاســـنة والاسـنة ترعـف
واغـير غـــارات واشـهد مشهدا قلب الجبان به يطير ويرجف(٥٤)

فاذا هو اليوم مكبل فى أسره رهين بيد الاعداء :

اصبحت رهنـا للعـــداة مكبـــلا امسي واصبح فى الاداهـم ارسف
واستنكرت ساقى الوثاق وساعدى وانا امرؤ بادى الاشاجع اعجف(٥٥)

ويقارن نصيب فى هذه الابيات بين ماضيه الجميل حيث دفأ ظـــل الحياة وبين حاضره حيث يضيق به الامل يقول فيها مخاطبا ابنته حجناء :

---

(٥٠) المصدر نفسه ٥/٣٥١ .
(٥٠) اليتيمة ٤/٢٠٥ .
(٥٢) المصدر نفسه .
(٥٣) الاغانى ٥/١٤٨ .
(٥٤) المصدر نفسه .
(٥٥) المصدر نفسه ، وليس لاعشى همدان غير هذه القصيدة فى اسره وهى فى خمسة وثلاثين بيتا .

احجنـاء ان اضحى ابـوك ودلوه تعرت عـرا منهـا ورث رثاؤهـا
لقد كان يدلي في رجـال كثيرة بمتح مـلأ وهى صغـر دلاؤها
احجناء ان يصبح ابوك ونفسـه قليـل تمنيهـا قصـير عـزاؤهـا
لقـد كان فى دنيا تفيـأ ظلهـا عليـه ومجلوب اليه بهاؤهـا(٥٦)

ان جميع شعراء الاسر والسـجون ذكروا ماضيهـم مقارنـين اياه بحاضرهم • غير ان شعراء الاسر بصورة خاصة ذكروا بطولاتهم وايـام غزواتهم وحروبهم ولاشك أن هذا الاستعراض للماضى انما هـو من باب الفخر لتقوية الثقة بالنفس التي هي أحوج ما يكونون اليها الآن ، كما انه يخفف كثيرا أو قليلا من آلامهم فهو سلوى وعزاء لهم فى محنتهم •

ثالثا ـ الشاعر بين التمرد والخضوع :

نفسية الشاعر السجين قلقة حائرة تتأرجح بين تيارات نفسية متضادة فهى مرة ثائرة متمردة أبية ومرة خانعة خاصفة ذليلة • واذا ما تتبعنا التأريخ الزمنى لشعر الشاعر وجدناه اغلب ما يكون متمردا اول ايام سجنه يتجلى ذلك فى ابيات الفخر • ثم يبـدأ فى الذل والخضوع بما يرسل من أبيات مديح واستعطاف لسجانيه •

ويتجلى تمرد الشاعر كذلك فيما ينظم من شعر هجاء يهجو بـه من ألقاه فى السجن فهو لا يعبأ ولا يخضع بل يزداد اصراراً على السبب الذى من اجله رمى فى السجن وخير مثل لذلك ابن مفرغ الذى القى فى السجن بسبب هجائه عباد بن زياد واخاه عبدالله وآل عباد واستمر فى هجائهم وهو فى السجن وظل يتهدد ويتوعد وينكر ان يكون قد اذله السجن او ما فعلوا بـه من تشهير قد سبق ذكره لانه يؤمن أن الهجاء اشد بقاء على الايام :

يغسل الماء ما صنعت وقـولي راسخ منك فى العظام البوالى(٥٧)

---

(٥٦) المصدر نفسه ٢٠/٢٧ •
(٥٧) المصدر نفسه ١٧/٥٨ •

ولم يخضع لهم هذا الشاعر بل ظل محتفظا بكبريائه حتى اطلق سراحه •

وابن الجهم صورة واضحة للتأرجح بين التمرد والخضوع فهو حينا لا يعبأ بالسجن ولا يضيره ان يكون مسجونا كما لا يضير السيف ان يكون فى غمدة ولا الاسد ان يكون فى عرينه ولا الشمس أن تكون وراء السحاب ولا البدر أن يختفى آخر أيامه ولا الغيث ان يحصره الغمام ولا النار ان تختفى فى الحجر :

قالت: حبست ، فقلت : ليس بضائر حبسي واي مهند لا يغمد
او ما رأيت الليث يألف غيله كبرا واوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتنجلى ايامه وكأنه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى الاّ وريّقة يراح ويرعد
والنار فى احجارها مخبوءة لاتصطلى ان لم تثرها الازند(٥٨)

والشاعر انما يبرر سجنه بهذه الصور كيلا يشمت به اعداؤه الذين سعوا به الى السجن • ومع كل هذا فاننا نراه بنفس القصيدة يمدح الخليفة المتوكل وكذلك فى قصائد اخرى ، ويرسل قصائد استعطاف الى نجاح بن سلمة والى طاهر بن عبدالله امير خراسان لا يتوانى فيها أن يصف نفسه بالعبد • ولم تنفع قصائد المديح ويئس من اطلاق سراحه ونفاه المتوكل الى خراسان كاتبا الى اميرها ان يصلبه الى الليل • فلما وصل الى الشاذياخ حبسه طاهر بها ثم اخرجه فصلبه الى الليل مجردا من ثيابه ثم انزل فقال قصيدة تتجلى فيها روح التمرد مرة ثانية ثائرا لكرامته التى اهينت منها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مغمورا ولا مجهولا

(٥٨) ديوانه ٤١ •

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد الا رفعه بنكو له وازدادت الاعداء عنه نكولا
هل كان الا الليث فارق غيله فرأيته في محمل محمولا
لا يأمن الاعداء من شداته شدا يفصل هامهم تفصيلا(٥٩)

ويظل يكرر ما سبق أن وصف به نفسه من انه السيف والاسد والبدر .

وفي اول أيامه في السجن ، لم يعبأ المتنبي بالسجن والقيد فقد كان محتفظا بكبريائه . قال من قصيدة مخاطبا ابا دلف السجان وقد ارسل اليه هدية قبلها على مضض .

اهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برك بي والجوع يرضى الاسود بالجيف
كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناى فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف(٦٠)

ولكن السجن أظهر نفسية المتنبي الضعيفة وذلل كثيرا من تمرده وكبريائه ففي القصائد التي أرسلها الى اسحاق بن كيغلغ والي حمص نجد التوبة والاستعطاف فهو ذليل مستكين يذكر غربته وجدته البعيدة :

بيدى ايها الامير الاريب لا لشيء الا لاني غريب
او لأم لها اذا ذكرتني دمع قلب بدمع عين يذوب
ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فأني على يديك أتوب
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوى العيوب العيوب(٦١)

---

(٥٩) ديوانه ١٧١ .
(٦٠) ديوان ابي الطيب المتنبي ، شرح العكبرى (القاهرة ١٩٥٦) ، ٢/٢٨٠-١ .
(٦١) ديوانه ١/٤٣٨ (بشرح البرقوقي) . هامش .

وفى قصيدته الدالية المشهورة التى ارسلها الى الوالي نفسه والتى اطلقت سراحه نجده يصف حالته بكل توسل واستعطاف ومذلة :

امالك رقي ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ... ء والموت منى كحبل الوريد
دعوتك لما برانى البلاء ... وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما فى النعال ... فقد صار مشيهما فى القيود(٦٢)

يقول الدكتور طه حسين فى سجن المتنبى « وما ارى الا ان الذين ألقوه فى السجن قد أحسنوا اليه لانهم كفكفوا من غلوائه ، وردوه عن بعض هذا الجموح واضطروه الى أن يهدأ ويطمئن ويفكر ويتدبر ، ويستقبل امره فى اناة واطمئنان . »(٦٣) .

والصابى صورة عجيبة للتمرد والخضوع والنفاق فهو فى قصائده الاولى متمرد على السجن غير عابىء بمصادرة امواله قوى النفس ثابت العزيمة ، يخدع نفسه بأنه ما زال صاحب عقل ولب ومنطق وثروة . ولكنه بعد ذلك ليس اكثر من خادم مطيع لمولاه عضد الدولة :

فيا ايها المولى الذى اشتاق عبده ... اليه اما تشتاق يوما الى العبد(٦٤)

وهو يعد السجن جاها ورفعة ويحسب القيود تاجا بمفرقه وليس هذا اكثر من نفاق واضح لا يخفى على الاغبياء :

وحبسك لي جاه عريض ورفعة ... وقيدك فى ساقي تاج لمفرقى(٦٥)

وثمة شعراء آخرون سجنوا فكتبوا قصائد مدح طويلة وكثيرة الى ولاة

---

(٦٢) ديوانه ١/٣٤٥-٦ .
(٦٣) مع المتنبى (القاهرة ١٩٤٩) ص ١٠٠ .
(٦٤) اليتيمة ٢/٢٩٥-٦ .
(٦٥) ياقوت ، معجم الادباء (القاهرة ١٩٢٣) ١/٣٣٥ .

الامر لسنا فى سبيل حصرهم او حصرها الآن وانما نذكر على سبيل الزيادة والتوسع الفرزدق فى قصائده التى بعثها الى هشام بن عبدالملك وخالد القسرى ومالك ابن المنذر والتى تحمل قدرا كبيرا من الخضوع والتذلل • وكذلك ابن زيدون فى قصائده الى ابن جهور ، وعاصم بن محمد الكاتب لاحمد بن عبدالعزيز ، ثم ابو نواس فى قصائده العديدة الى الفضل بن الربيع واخيه جعفر والى الحسين بن عيسى وحتى الى عبيد الخادم مولى ام جعفر عدا تسع قصائد ارسلها الى الامين يصف فيها الخمر ويعترف فيها بتركه اياها ولا اراها الا من شعر الخمريات وان نظمت فى السجن •

رابعا ـ الشاعر بين اليأس والامل :

والامل حين يتجاوب فى احناء شعراء السجون كبير يملأ نفوسهم وهم يتشبثون بأوهى خيوطه خاصة فى ايام سجنهم الاولى • واكثر ما يتصل ذلك بولاة الامر • لقد أكد ابن الجهم أمله مرات عديدة فى كل ما ارسله للمتوكل ، قال :

ولا تنكرى حال الرخاء وفوته فان امير المؤمنين يعيدها(٦٦)

وقال فى قصيدة اخرى متعللا بالصبر والانتظار وان كان امله قد ضعف الآن :

صبرا فان الصبر يعقب راحة ويد الخليفة لا تطاولها يد(٦٧)

وظل الصابى يداعبه الامل أن يعطف عليه عضد الدولة زاعما انه لا يستطيع أن يعيش دون أمل رغم انه يملك قلبا صلدا كالحجر :

فلولا رجاء مل ارجاء اضلعى وعلم يقين بالرعاية والعهد
وان نسيم الانعطاف يهب لي هبوب نسيم النرجس الغض والورد

---

(٦٦) ديوانه ٥٠ •
(٦٧) ديوانه ٤١ •

قضيت باحداهن نحبي حسرة ولو كان لي قلب من الحجر الصلد[٦٨]

وعندما يفقد الشاعر أمله فى الكبار يتجه حتى الى اصغر الناس قدرا ، فلقد وجد ابو نواس فى عبيد الخادم مولى ام جعفر املا كبيرا قال :

لا تخافي علي صرف الليالى ان بيني وبينهن « عبيدا »
ان بيني وبينهن ابا عمرو وكفانى كهفا وعزا وطودا[٦٩]

ولقد كتب ابو نواس قصائد لغير هذا الخادم وربط امله بكل واحد من هؤلاء • وينتقل الامل عند بعض الشعراء من ولاة الامر لينعقد بالايام وما عسى تتبدل به الظروف والاحوال • قال ابن الجهم :

ولكل حال معقب ولربما اجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طبيبه والعود[٧٠]

وفى قصيدة اخرى يستريح الى الايام لتأسو جراحه :

هي الايام تكلمنا وتأسو وتجرى بالسعادة والشقاء[٧١]

وكما علل ابن الجهم سجنه يعلل ابن زيدون ، فهو شيء موقت لا يدوم ولابد أن يخرج يوماً ما ؛ فالماء لا يحبس طويلا بين الصخور والغيث ينهمر من الغيوم بعد احتباسه وللاسد افتراس بعد ان يلبد فى العرين :

ان قسا الدهر فللما ء من الصخر انبجاس
ولئن امسيت محبو سا فللغيث احتباس
يلبد الورد السبتى وله بعد افتراس[٧٢]

---

(٦٨) اليتيمة ٢/٢٩٦ •
(٦٩) ديوانه ١١٢ •
(٧٠) ديوانه ٤١ ، الاغانى ٩/١٠٩ •
(٧١) ديوانه ٨١ •
(٧٢) ديوانه ٣ •

ويرى ابن المدبر ان الايام ستتغير وان السلطان سيزول والامل كبير بالحريـــة :

ومـــا الايـــام الا معقبـــات ولا السلطـــان الا مستعـــار
ســـيفرج ما ترين الى قليـــل مقدرة وان طـــال الاسار(٧٣)

وقد لجأ بعض هؤلاء الشعراء الى (لله) املا كبيرا يملأ نفوسهم ويفرج عنهم كربتهم فهو (المنقذ) و (والملاذ) و (الحامى) و (الناصر) و (الوكيل) • وهذه النزعة الدينية اما ان تكون أصيلة نابعة من نفس متدينة حقا كما هو واضح فى شعر المعتمد وابن زيدون واما ان تكون حالة طارئة مصدرها اليأس كما هى فى شعر ابن الجهم وابى نواس •

وذكر الموت عند الشاعر السجين كثير يخافه حينا فيفزع منه ويريده حينا آخر ليستريح به مما هو عليه • ابن المعتمد يجد فيه كرامته :

لنفســـي الى لقيـــا الحمـــام تشوف
سواى يحب العيش فى ســاقه حجل(٧٤)

والمتنبى يفزع منه مع يأسه :

دعوتك عنـد انقطـاع الرجـاء والموت منى كحبل الوريد(٧٥)

وكذلك خاف هدبة بن خشرم وابو نواس منه •

غير أن الصابى ـ كعادته فى الطرافة ـ يجد للموت تعليلا عجيبا فهو اهون عليه الآن فى سجنه حيث العيش انكد مما كان عليه فى رفاه وسعادة :

اذا لم يكن للمرء بد من الـردى فأسـهله ما جاء والعيش انكـد
واصعبه ما جـاءه وهـــو راتـــع تطيف بـه اللذات والحظ سـعد

---

(٧٣) الاغانى ١١٥/١٩ •
(٧٤) نفح الطيب ٣٥٣/٥ •
(٧٥) ديوانه ٣٤٦/١ •

فان اك شر العيشتين اعيشها فانى الى خير المعاشين اقصد(٧٦)

خامسا ـ علاقة الشاعر بالآخرين :

الشاعر السجين ، كانسان ، يرتبط بعلاقات ودية او غير ودية قبل سجنه او اثناءه ، بالاخرين خاصة مع اهله واصدقائه او مع اعدائه وخصومه، ولابد أن يكون لهؤلاء نصيب من شعر الشاعر فى هذه الفترة ويمكن أن نصنف هذا الفرض الى ثلاث مجموعات :

أ ـ مع اهله واقربائه .

ب ـ مع اصدقائه ومعارفه .

ح ـ مع خصومه واعدائه .

(أ) علاقة الشاعر مع اهله واقربائه :

وحيث يجد الشاعر نفسه بعيدا عن اهله وزوجته واطفاله واقربائه لابد أن يحن اليهم ويتشوقهم فيتذكرهم ويبكى لفراقهم ، ولعل ابيات الحطيئة التى بعثها الى الخليفة عمر اشهر ما تتداول عن الالسن فى هذا الباب ، بذكر فيها اطفاله الصغار وهم بلا طعام او شراب يشكون البرد وسط الصحراء :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
وامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الاباطح تغشاهم بها القرر
اهلي فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية تعمى بها الخبر(٧٧)

وبها بلغ الى قلب الخليفة فبكى لها عمر واطلق سراحه .

---

(٧٦) اليتيمة ٢/٢٩٥ .
(٧٧) الاغانى ٢/٥٦ .

وذكر المعتمد اطفاله في شعره بالرغم من انهم كانوا معه في أسره فقال وقد رأى سرب قطا يمر به :

الا عصم الله القطا في فراخها فان فراخي خانها الماء والظل[٧٨]

وكذلك ذكر الصابي اطفاله واهله في قصيدة الى عضد االدولة[٧٩] . ان الاطفال غالبا ما ووصفوا بالقطا عند هؤلاء الشعراء .

وذكر الشعراء زوجاتهم فيصرح بها واحدهم او يلمح كعادة العرب اذ يخجلون من ذكر نسائهم ولذلك نراه يخلطها مع امه او اخته او قريبته كما جاء ذلك في ابيات عدي بن زيد[٨٠] وفي أبيات ضابيء[٨١] .

والام تحتل جانبا كبيرا من ذكر ابنها السجين نذكر على سبل المثال ان زيدون والمتنبي وابا فراس . وكلهم يطلبون منهن ان يتمسكن بالصبر .

ويزداد ألم الشاعر حين يزوره في السجن احد المقربين من اهله فيبكي في حضرته فتزداد حينئذ شجونه وآلامه ، حتى اذا غادر الزائر دلف الشاعر الى ورقته ليسكب عليها تلك الآلام . فنصيب حين دخلت عليه ابنته حجناء في حبسه باليمامة ورأت قيوده وبكت قال ابيات فيها[٨٢] .

والمعتمد الملك الاسير اذ يرى بناته يدخلن عليه في العيد وعليهن اطمار واقدامهن حافية يبكي كل ذلك شعرا :

ترى بناتك في الاطمار جائعة يغزلن للناس ، ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة ابصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

---

(٧٨) نفح الطيب ٥/٣٥٣ .
(٧٩) انظر الابيات في معجم الادباء ١/٣٣٥ .
(٨٠) الاغاني ٢/٢٥ .
(٨١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (بريل ١٩٠٤) ص ٢٠٣ .
(٨٢) الاغاني ٢٠/٢٧ .

لا خـدّ الا تشكى الجدب ظاهره وليس الا مع الانفاس ممطورا[٨٣]

وكتب المعتمد قصيدة اخرى في ابنائه الذين زاروه فى اسره[٨٤] .

ويحدث احيانا ان يتبادل الشاعر مراسلات شعرية مع اهله واقاربـــه فقد كتب عدي بن زيد أبيات الى أخيه ابي وأجابه أخوه بأبيات اخرى[٨٥] وكتب ابن الجهم قصيدة طويلة الى أخيه محمد[٨٦] ، وارسل الصابى ثلاثة أبيات الى ابنه المحسن[٨٧] .

وكما نجد مثل هذه العلاقات الودية بين الشاعر واهله نجد عكس ذلك عند بعضهم شاكين من تنكر الاهل وعدم الاهتمام بهم بعد أن وقعوا فى هذا المصير الاليم . فقد كتب ابو محجن ابيات يذكر فيها تفرقة اخوتـــه واسرته عنه[٨٨] ، وكتب اسماعيل بن عمار الى ابن أخ له يقال له (معان) يخشى قطيعته[٨٩] .

(ب) علاقته مع أصدقائه ومعارفه :

يبدو الوفاء نادرا عند اصدقاء شعرائنا المساجين فقد تخلى هؤلاء عن اصدقائهم حالما دخلوا السجن فى الوقت الذى هم احوج ما يكونون لوفائهم ولاخلاصهـــم ، والى رسائلهم وزياراتهـــم . كتب الصابي الى قاضى القضاة ابي محمد بن معروف وكان قد زاره فى معتقله رقعة فيها ابيات ثلاثة يرينا البيت الاخير كيف ان الشاعر السجين يرتاح الى زيارة صديقه :

---

(٨٣) نفح الطيب ٦/٩-١٠ ، ابن خلكان ٢/٣٣ .
(٨٤) ابن خلكان ٢/٣٣-٣٤ .
(٨٥) الاغانى ٢٠/٢٧ .
(٨٦) ديوانه ٨١ ، الاغانى ٩/١٠٦ .
(٨٧) اليتيمة ٢/٢٩٣ .
(٨٨) الاغانى ٢١/٢١٣ .
(٨٩) المصدر نفسه ١٠/١٤٠-١ .

فعاش من كلمات منك كن لـــه كالروح عائدة منه الى البدن(٩٠)

واكثر ما تتضح هذه العلاقات قوة وضعفا بما ارسلوه من رسائل الى اصدقائهم اغلبها شكوى او وساطة وتشفع لدى ولاة الامر لاجـل اطلاق سراحهم .

(ج) مع الاعداء والخصوم :

لشعراء السجون ـ خاصة اولئك الذين كان لهم مركز مرموق عند الخلفاء او الولاة قبـل سجنهم ـ اعداء كثيرون حسدهم عـــلى مراكزهم وحظوتهم فسعوا الى السلطان فافسدوا بينـه وبين الشاعر فكان ذلك سببا لرمي الشاعر فى سجنه . وهذا ما حدث فعلاً لعدي بن زيد وعلي بن الجهم وابن زيدون وغيرهـم . كما ان بعض اصدقائهم قـــد تحولوا عنهم الى اعداء . وهؤلاء الاعداء بين واش سعى الى السلطان وبين شامت فرح بهذا المصير . ولذلك نجد شعر السجون مليئاً بذكر هؤلاء من جميع الاطراف فيه الهجاء المقذع وفيه الدفاع عن التهم وفيـه التحذير والتهديد وكشف الافتراء .

سادسا ـ الحكمـة :

ليس بين شعراء السجون ، عدا المتنبي ، من كان من شعراء الحكمة. والابيات المتناثرة التى بين ايدينا من هذا الشعر لم تكن ابياتا فلسفية عميقة وانما كانت مجرد خواطر مركزه اوحتها طبيعة السجين وما يحيط به من يأس وألم وخوف ، فهي اكثر ما تكون تهدئة وتبرير أفكاره فى الحيـــاة والموت والدهر والوفاء . ولعل عدي بن زيد اكثر الشعراء فلسفة للحياة والموت والظاهر انه كان يعرف مصيره المؤلم فقـد مات فى سجنه خنقا . مثله هدبة بن خشرم .

---

(٩٠) اليتيمة ٢/٢٩٤ .

وفيما يخص الدهر والايام وتقلباتهـا نظم ابن الجهم وابن زيدون والمعتمد ذاكرين صروف الدهر ففلسفوا المصير وما يؤول اليـه الانسان كرهاً مؤكدين على الصبر فهو مفتاح الفرج • قال الاعشى :

واذا تصبك من الحوادث نكبـة فاصبر فكـل مصيبة تتكشف(٩١)

وقال ابن زيدون معللاً وجوده فى السجن :

هـــل الـرياح بنجـم الارض عاصـفة
ام الكسوف لغـــير الشمس والقمـــر(٩٢)

والصابي لا يريد أن يجد نفسه أقل من الطلقاء فهو أعز منهم جانباً :

ورب طليـــق أطلـق الـــذل رقـه
ومعتقـل عـان وقـد عـز جانبـــه(٩٣)

ويفلسف وجود الوشاة من انهم لابد منهم لمن يسعى الى المجد :

ولابد للساعي الى نيل غاية من المجد من ساع تدب عقاربه(٩٤)

وثمة خطرات فلسفية فى شعر ابي نواس وابي العتاهية •

ويدهشنا المتنبي وهو الحكيم الا نجد فى شعره ـ ابان فترة سجنه ـ أبياتاً كثيرة فى الحكمة • ربما ذلك يعود الى ان شعره فى السجن قد فقد أكثره لانه هو نفسه لا يريد أن يخلد هذه الفترة من تاريخ حياته • أو لانه لم يرد أن يبرز تتمة ادعائه النبوة التي سبق من أجلها لما لشعر الحكمة من قرب أكيد لهذا الادعاء •

---

(٩١) الاغانى ١٤٨/٥ •
(٩٢) ديوانه ٩٢ •
(٩٣) اليتيمة ٢٧٢/٢ •
(٩٤) المصدر نفسه •

سابعا ـ أغراض أخرى :

وثمة أغراض اخرى جاء بها شعر السجون لا نريد ان نغفلها • الليل يحتل مكاناً واضحاً من شعر هؤلاء المساجين ، وهو اذ يخيم على الشاعر السجن بظلامه يبعث فيه الكآبة والحزن فهو طويل عندهم لا ينتهي • وكثيراً ما تحدث الشعراء الطلقاء عن طول الليل فكيف بالنسبة لشعراء السجون • قال عدي يصف طول الليل والارق الذي يصيبه دونما عشق :

طال ذا الليل علينا واعتكر ... وكأني ناذر الصبح سحر
وكأن الليل فيه مثله ... ولقد ما ظن بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى ... أتمنى لو أرى الصبح حسر
غيرما عشق ولكن طارق ... خلس النوم واضواني السهر(٩٥)

ويقرن الفرزدق سواد الليل بسواد قيوده :

وكيف بمن خمسون قيداً وحلقة
عليه مع الليل الذي هو أدهم
أبيت اقاسي الليل والقوم منهم
معي ساهر لي لا ينام ونوم(٩٦)

ويصور طول الليل أروع تصوير بقوله :

اذا قلت للحراس : هل ليلتي دنت
من الصبح أو كانت جنوحاً نجومها
يقولون ما ينزلن الا تنزلاً
بطيئاً ومسوداً علينا اديمها(٩٧)

---

(٩٥) الاغانى ٢/٢٥ •
(٩٦) ديوانه ٢/٨٠٤ •
(٩٧) ديوانه ٢/٨١٠ •

وابن الجهم يصف ليلة المؤرق كيد تسلمه للصباح دون أن ينام :

اذا ادرع الليل افضى به الى الصبح من قبل أن يرقدا[٩٨]

وطول الليل كطول النهار عند خالد بن مهاجر :

ما بال ليلك ليس ينقص ، طوله طول النهار[٩٩]

ويقارن ابراهيم بن المدبر بين ليله الطويل فى السجن وليالية الماضية قبله :

ان طال ليلي فى الاسار فطالما أفنيت دهراً ليله متقاصر[١٠٠]

ويجد ابن المعتمد فى سرب القطا وقد مر به فى أسره خير موضوع لقصيدته[١٠١] فهو يبكي حاله الى القطا ويغبطها على حريتها ويتمنى لو كان حراً مثلها شأنه فى هذا شأن ابي فراس والحمامة الضائعة[١٠٢] . والاعياد تحتل أبياتاً كثيرة فى شعر السجون ذكره المعتمد وأبو فراس ، على سبيل المثال .

والشيب من الموضوعات البارزة فى شعر هؤلاء اما انه داهمهم على كبر أو انه جاء مبكراً قال ابن زيدون وقد اعتلاه الشيب قبل الثلاثين من عمره :

لم تطو برد شبابي كبرة داري

برق المشيب اعتلى فى عارض الشعر

قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب

وللشبيبة غصن غير مهتصر[١٠٣]

---

(٩٨) ديوانه ٧٧ .

(٩٩) الاغانى ١٥/١٤ .

(١٠٠) المصدر نفسه ١٩/١١٥ .

(١٠١) نفح الطيب ٥/٣٥٣ .

(١٠٢) ديوان ابى فراس ـ تحقيق الدكتور سامى الدهان (بيروت ١٩٤٥) ٣ / قصيدة رقم ٢٦٢ .

(١٠٣) ديوانه ٩٢ .

وثمة موضوع آخر بارز فى شعر السجون هو « خيال الحبيب » فهم يتصورون خيال حبيباتهم وقد زارهم فى سجونهم ، ولعل ذلك يعود اما لانه لم يكن من المناسب للمرأة العربية أن تزور حبيبها فى السجن ، أو لانه لم يكن يسمح لها بذلك ، أو لانه من خيال هؤلاء ونسيج مشاعرهم . وأبرز هذه القصائد قصيدة جعفر بن علبة حيث يعجب كيف دخلت عليه حبيبته وأبواب سجنه مغلقة بوجهها ووجهه :

عجبت لمسراها وانى تخلصت
اليّ وباب السجن دوني مغلق
ألمّت فحيت ثم قامت فودعت
فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم
لشي ولا اني من الموت أفرق
ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم
ولا انني بالمشي فى القيد أخرق
ولكن عرتني من هواك صبابة
كما كنت ألقى منك اذ انا مطلق(١٠٤)

ويشك السمهري العكلي أن يكون الخيال الذي زاره خيال حبيبته :

لقد طرقت ليلى ورجلي رهينة
فما راعني فى السجن الا لمامها
فلما انتبهت للخيال الذي سرى
اذا الارض قفر قد علاها قتامها

---

(١٠٤) حماسة ابي تمام (القاهرة ١٣٥٨ هـ) ١/٥١ .

فـالا تـكن ليـــلى طـــوتك فانـــه

شـــبيه بليـــلى حســـنها وقوامهـــا[١٠٥]

ان مثل هذه الاغراض الشعرية كانت تخفف كثيراً من ثقل الحيـاة الرتيبة التي كان يحياها الشاعر السجين فى سـجنه فترتاح نفسه حينـاً من الزمن وتخلد الى اغفاءة قد تطول وقد تقصر تبعاً لأوهامه وخيالاته .

(١٠٥) الاغانى ٢١/٨٠ .